الحلقة المفقودة من سلسلة الأدباء اللبنانيين في المهجر

خليل يوسف نصر

١٨٩٢ — ١٩٥٤

بقلم جرجي ابرهيم نصر

كان كاتباً أديباً وشاعراً رقيقاً وصحفياً واسع الأفق. أبصر النور في بكاسين في ١١ تشرين الثاني سنة ١٨٩٢ من والدين هما: يوسف بن شاهين بطرس عبّود سعد سمعان أبو رعد نصر واميلي ابنة مارون شاهين مارون مخول شربل نصر، ونشأ وترعرع في كنفيهما مشمولاً بالرعاية والحنان، وتلقى مبادئ العلوم في وطنه وأتمّها في مدرسة قرنة شهوان فكان من المجلّين. وانصرف الى تدريس الناشئة مدةً وجيزة، فغرس في نفوس الطلاب حبّ العلم ومحبة الوطن والتمسك باهداب الدين.

وفي اوائل سنة ١٩١٢ هاجر الى مكسيك حيث زاول التجارة ردحاً من الزمن ولم تحُل أعماله التجارية دون متابعته رسالته الأدبية.

فان اللبنانيّ مهما طالت غربته عن وطنه، ومهما بلغ من الجاه وأدركه من الثراء في دار غربته، فانه لا يزال دائب الحنين، دائم الشوق الى مسرح خياله ومثوى آبائه، تراوده أحلام العودة، وتساوره ذكريات الطفولة والشباب، فهو يتمنّى لو ضمّ رفاته الى تراب أجداده ومواطنيه، وهيهات أن تتحقّق أحلام الكثير من هؤلاء النازحين، فيقضون أسىً وضنىً في دار الغربة، ومن هؤلاء المغتربين هذا الأديب اللبناني المغمور الذي ركب متن الاغتراب فتياً وجاهد في الحياة جهاداً مستمراً، واحترف الأدب في دار هجرته، فأنشأ مع زميله الاستاذ داود سليم الشرتوني جريدة «الفرائد»

في مكسيك بعد أن اشتريا امتيازها من صاحبها الشيخ ناصيف الفضل سنة ١٩٤٥ وتابعا السير على منهجه في بعث التراث العربي الدفين ، ونشر الأبحاث الأدبية ومعالجة القضايا العربية الوطنية ، وخدمة الجالية اللبنانية؛ وقد بذلا تضحيات وجهوداً لرفع مستواها الصحفي في مجالات مختلفة من مجالي الأدب والفكر . وقد تفرّد « الخليل » بنشر مقالات أدبية ، وسياسية ، واجتماعية ، ووطنية . عالج بها ضرورة تعليم أبناء الجالية اللبنانية في مكسيك لغة آبائهم وأجدادهم ، وحثّهم على زيارة وطنهم الأول لبنان . لكي تنطبع آثاره وحضارته في أذهانهم ، وحتى تظلّ الصلة مربوطة بينهم وبين الوطن الأول وحتى لا تنقطع هذه الرابطة باندثار آبائهم .

ثم أنشأ مجلة « لبنان » باللغتين العربية والاسبانية ، وكانت الغاية من إنشائها تعريف الأجانب الى تاريخ لبنان وحضارته وأمجاده عبر العصور، وقد كتب فيها بحوثاً نافعة ومفيدة عالجها بتؤدة وحكمة وبُعد نظر .

وحسبه فخراً أنه في الآونة الأخيرة من حياته وجّه اهتمامه الى تدوين تاريخ الهجرة اللبنانية والسورية والفلسطينية الى مكسيك بالاشتراك مع زميله الاستاذ سليم عبّود فجاء الكتاب في مجلّد ضخم نافع دلّ على مدى جهادهما وتضحيتهما .

مرضه ووفاته : وقد أصيب رحمه الله نتيجة لمجهوده وإرهاقه بعلّة قلبية حادة لازمته طويلاً وبرّحت به أشد التبريح وألزمته الفراش زمناً فعانى من جرّائها آلاماً استنزفت قوّته وماله .

وهكذا ظلّ هذا اللبناني المجاهد يناضل في ميدان الأدب والفكر ويؤدّي رسالته الأدبية حتى أدركته الوفاة صباح الاثنين في ١٠ من ايار سنة ١٩٥٤ في مكسيك فخسر لبنان بفقده إبناً بارًّا ووطنياً صادقاً وصحافياً قديراً قضى حياته في خدمة وطنه ولغته .

وقد هرع أبناء الجالية اللبنانية الى داره يؤاسون أسرته ويشاطرونها اللوعة والأسى وكان في مقدّمة المعزّين حينذاك الوزير المفوض الشيخ خليل تقي الدين وأركان المفوضية ووجهاء الجالية يتقبلون التعازي ، وشيّع جثمانه الى وكالة دفن الموتى التي غصّت بالمشيّعين وغمرت بمئات الأكاليل ، وهناك صلّى على جثمانه لفيف من الاكليروس الموقّر برئاسة الخوري بطرس القهوجي الذي القى بعد الانجيل المقدس تأبيناً بليغاً مبيّناً عظم الخسارة

التي تحلّ بالجالية اللبنانية منوّهاً بالخدمات الجليلة التي أسداها لوطنه لبنان وابنائه المقيمين والمغتربين .

وبعد الجناز نُقل الجثمان الى المدفن الاسباني في موكب مهيب حيث ووري في الثرى بين الزفرات والعبرات وتوالى المؤبنون في تعداد مناقبه فوفود حقه من التأبين .

وقد نعته الصحافة العربية والمكسيكية مبدية أسفها على فقده وعددت مناقبه ، ومكارم اخلاقه ، وما اتصف به من نبل وكرم وأدب وعلم ؛ وقد نشرت الجرائد الكثير من المراثي التي قيلت فيه .

وتلقيت نعيه بسيل من العبرات وسلسلة من الزفرات ، وحفظتُ له على مدى الأيام طيب المودّة وأجمل الذكريات ، وآليتُ على نفسي أن أنقل الى الناطقين بالضاد ، آثار فضله وأدبه وغيرته على لبنان وأبنائه ، فرثيته بقصيدة مطوّلة أختار منها هذه الأبيات :

حيٌّ بذكرك والحياة تزول ونضيرُ فضلك ما عراه ذبولُ
قد راعني الخطبُ الأليم ووقعه فعرا فؤادي رعشةٌ وذهول
ماذا أقول وخطبك الدامي حنى ظهري : وإني بالجوى مكبول
أعليتَ شأناً للصحافة عالياً بمباحث هي للخلود كفيل
درر بأنفاس الخلود تعطّرت ولها من الحلل اللطاف ذيول
خلّدتَ ذكرك في المآثر والنهى يفنى الورى والذكرُ ليس يزول
ووهبت روحك للبلاد مجاهداً وبك المواطن في النضال تصول
وتركتَ ذكراً خالداً متألقاً بسنى المحاسن ما عراه أفول
ورفعت للعرب الكرام معالماً ما إن لها بعد النهوض خمول
ما مرَّ ذكرك في فؤادي مرّةً إلاّ تولاّني أسًى ونحول
ماذا أعدّد من مآثرك التي هي بالحقيقة للكرام سبيل
فلئن طواك الموتُ في جوف الثرى فلك القلوبُ منازلٌ وطلول
فالمرء يُطوى والحياة قصيرةٌ عمرٌ بأثقال الهموم يطول

ما همّه لو عاد يوماً للحمى ورأته مُردٌ في الحمى وكهول
لرأى السواجعَ في الرياض نواشحاً للفلّ والنسرين منه عويل

ولقد قضى في غربة شوقاً الى وطنٍ وجفنُ الشعر منه كحيل
ناحتْ حماماتُ الدوى في يومه والدمعُ من فوق الخدود همول
فلئن قضى فله القلوبُ مضاجعٌ وله الكرامة والثنا إكليل
والذكرُ باقٍ والجفونُ قريحة ولكلِّ حيٍّ للمقام رحيل

وكان بيني وبينه رسائل تفيض شوقاً وحنيناً الى هذا الجبل الغنيّ برجاله وجماله الذي لا ينساه ابناؤه مهما شطّ المزار وبعُدت الدار على حدّ قول شاعرنا اللبناني الكبير المرحوم الاستاذ بولس غانم :

وكيف تنسى ظباء البرّ موْردَها وكيف تسلو طيور الجوّ أوكارا

كما كانت له مساجلات شعرية ، مليئة بذكريات صباه وملاعب شبابه ومراتع أخدانه ، ومن هذه المساجلات قصيدة بعث بها إليّ قبل وفاته بقليل . وقد غمس قلمه بدمه ليخطّ حروفها ، وكأنه رحمه الله كان يتوقّع أن يلبّي داعيَ ربّه في دار غربته : وقد أرسل اليّ الأبيات الآتية وهي آخر ما خطّه قلمه :

أمذكريّ زمنَ الصبا والعيشَ في دار السرور
حيث البلابل أنشدت للفجر الحان الدهور
سكرت بخمرة مائه متدفقاً بين الصخور
وشذا خمائله نمتْ ما بين أوكار النسور
وتذيع أرزته لعصر الـ نور تاريخ العصور
وربى شوامخه تعير الـ حسن ربّات الخدور
لبستْ عذارى الحيّ من ثلج الربى بيض الحبور

أبناؤه نشروا الحضا رة بالصليل وبالصرير
فتحوا المشارق والمغا ربَ واعتلوا متن البحور

يا باعثاً أشواقه ناراً تجلّتْ في السطور
حبّاً مقيماً في الضلو ع ، ونازلاً طيّ الصدور
ذكراك رائعة الشذا عبقتْ بأنواع العبير

أترى نعودُ الى الحمى ... ونرى الأحبّة في حبور ؟
منذُ الطفولــة ذكره ... في خاطري مثــل العطور
تشدو على أفنانــه ... في الصبح اسراب الطيور
انشودة الصبح الجميل ... وبسمة الفجر الطهور

•

وطني الصغير بحسنــه ... يُنبي عن الوطن الكبير
حيث الصنوبر مرسلٌ ... خضر الذوائب كالشعور
كم ذا حزنتُ بذكره ... عنــد العشيّة والبكور
وذكرت ايــام الصبا ... في المهد والكوخ الحقير
وكم أصعّدُ في بعيد الـ ... ارض انّات الســعــير
شوقاً الى لبنان حيّـــاً ... أو رميماً في القبور .

وقد رددت عليه بالأبيات التالية :

تشتاق روحُك للربى ... شوقَ العطاش الى الغدير
حيث الغصون ترنّحت ... طرباً على رقص الطيور
والروض أسكره مزيج الـ ... ظلّ بالمــاء النمــير
والزهر ينفث نشره ... من كلّ فوّاح العبيز
وتودّ ان تحتلّ دا ... رك عنــد اوكار النسور
مــا بين خافقة القلوب ... وبين بــاسمة الثغور
لا في القصور الشاهقات ... ولا الخورنق والسدير
بــل ظلّ بيتٍ رافلاً ... بالرغد في الكوخ الحقير

•

ضاقت ببهتك الـ ... رواحل فاعتليت على البحور
يا شعلةً من همّــة ... ثارت بنفسك كالسعير
فنبيتَ للعلياء تقني الـ ... عزّ للأمــر الخطــير
حرّكْ مُناكَ فإنهــا ... فيها الشفاء مــن الثبور
فاذا بعلتَ عن العرين ... فأنتَ باقٍ في الضمير

واجعلْ قريضَكَ بلسم ا | داء العياء على الدهور
عش بالرجاء فإنَّ في | معنى الرجاء شفا الصدور
حنَّت اليك ربوعنا | كالأم للولد الأسير

=

تشتـاق روحك غفوةً | بـين الخمائل والزهـور
فاذا هجعتَ فأنت بين ا | ناس عـارٍ من شعور
إنّـا نريـدك باعثاً | موتى الشعور الى النشور
ببديع آيٍ من نظيمك | أو بديعٍ من نثير
تجني وتجمعُ ما جنيتَ | كمثل نحلٍ في القفير
وتعود بلقـاك الحمى | وبنوه طـرّاً بالحبور

نماذج من نثره : ويطيب لنا أن ننشر بضع قطع من نثره نقتطفها من رسائل كتبها لي فيها نفحات عاطرة من الشعور الصادق ؛ وتوهّج العاطفة ؛ وشدّة اللوعة وحرارة الوطنية ممّا يهزّ النفوس ، ويذكي الفؤاد : نقتطف منها ما يلي : وهذه واحدة منها تاريخ ١١ نيسان سنة ١٩٤٧

ابن العم الحبيب جرجي حفظه الله

كما تقتبل الأرض العطشى وابل الأمطار فتحيي غرسها ، وتنمي أشجارها ؛ وتنضج ثمارها ، هكذا كان وقع كتابك الأنيس المؤرخ في اليوم الأول من الجاري على عواطفي وأشواقي وحنيني .

لقد عادت بي الذكرى الى ايام الصبا ، الى البلدة الجميلة المحبوبة بكاسين ، حيث دببتُ على أرضها اليانعة صغيراً ، وتسلّقتُ روابيها الساحرة يافعاً ــ ذكرتُ آلافاً من الذكريات العذبة ــ وأول ما جال في خاطري هو زفاف والديك حيث برزتُ للرقص مع الراقصين لأول مرة : فهل ما يزالان حيّين ؟ وهذا كل ما اتمنّاه .

ثناؤك علي (الفرائد) ليس الاّ ثناءك على نفسك ، لأنها جريدتك واؤمل ان تكون في المستقبل ميداناً لعرائس أفكارك ولعبقرية الشاعر الفذّ الصديق الاستاذ بولس بك غانم ومسرحاً لشيطان شاعرية رفيق الصبا الاستاذ سليم عواد ، بلّغ الاثنين أرقّ تحياتي وأذكى شواعري .

الأستاذ خليل يوسف نصر

١٨٩٠ – ١٩٥٤

لا أستطيع لضيق الوقت أن اكتب مطولا عن خطة (الشرائد) في المستقبل وما تعانيه من قحط في المراد والمادة : لأنني مزمع أن استقل الطائرة نهار الغد الى جنوب البلاد لإتمام العمل الذي أخذته على عاتقي ألا وهو احصاء عدد نفوس اللبنانيين والناطقين بالضاد المقيمين في جميع انحاء الجمهورية المكسيكية : وعندما يتبادر الى ذهنك ان مساحة أرض مكسيك تبلغ ما يقارب المليونين من الكيلومترات المربعة ، تدرك عندئذ ما ألاقيه في أسفاري من مشقات ومتاعب ، لم يبق لانهاء العمل سوى اربع ولايات لا غير : وسأنتهي من الاحصاء بعد شهرين ان شاء الله : وبعد عودتي سأكتب اليك بخصوص الجريدة وعن الخطة التي سأنتهجها فيما بعد .

لقد أخذتُ منذ عهد طويل رسالة من بلبل المنابر الاستاذ بولس بك غانم أثنى بها عليك ثناءً عاطراً وبشّرني بمستقبل لك باهر : فسررت بما أنتَ عليه من مقام ادبي رفيع : ومما قاله لي اننا اخوان تربطنا روابط الدم والأدب .

وفي الختام اصافحك وابعث اليك بتحيات أرق من نسيم صنوبر بكاسين : طالباً لك التوفيق ورغادة العيش .

ابن عمك خليل نصر

وهذه ثانية من رسائله يهزّه فيها الحزن والألم ويطلق زفرات حادة اذ بلغه نعي خاله في الوطن ، فيتذكّر أباه وأمّه وأخاه الذين فقدهم إبّان الحرب العالمية الأولى ، وقد أثّرت في نفسه هذه الاحداث الموجعة وانطبعت في أعماقه هذه الصور المحزنة واللوعة المحرقة والعواطف النفسية العميقة فيقول في رسالة تاريخ ١٦ آذار سنة ١٩٥٠ .

ابن العم الحبيب جرجي حفظه الباري

... كنت كلما أود ان اجاوبك على كتابك الذي حمل اليّ وفاة المرحوم خالي يوسف ، طيّب الله ثراه ، ترتجف أناملي ويتولاّني القنوط ، ويستحوذ على نفسي اليأس ، وتحول العبرات دون املاء العبارات ، لأنه كان، رحمة الله عليه ، كل ما بقي لي في هذه الحياة من أمل ، فبفقده فقدتُ لذاذة العيش والحشاعة معاً ولا سيما قد فقدت قبلاً والديّ وأعزّ انسبائي ولم اتمكّن أن أكون بجانب أحدهم ساعة الاحتضار لأطبق جفنيه .

فيا لله ما اقسى الحياة وأمرّ التفرقة. ثمانية وثلاثون عاماً تمرّ دون ان تمكنّي الأحوال في خلالها من العودة الى البلد الطيّب الذي دببتُ على أرضه، وشربتُ غزير مائه، وتفيّأت ظلال أشجاره، وأكلت يانع ثماره.

يا عزيزي جرجي لقد ذهب الشباب وسيذهب المشيب قريباً، وها قد امست شمس الحياة على وشك الأفول، ولا أمل بالعودة الى الوطن الأم لإلقاء آخر نظرة على ربوعه الخلابة، ووضع اكليل من الزهر على ضريح من رقدوا تحت التراب، الذي ولا شك ترمقنا عيونهم من وراء حجاب الأبدية، كل هذه الذكريات المؤثرة كانت تمرّ بمخيلتي، فتقلق راحتي، فينقبض قلبي من الكآبة وقلمي عن الكتابة، اصافحك وأدعو لك بالتوفيق.

ابن عمك خليل نصر

وهذه ثالثة تنضح بالأنين وترتسم فيها معاني الحزن والأسى العميق على أثر اصابته بداء القلب، تاريخ ٢٧ حزيران سنة ١٩٥٢ وفيها يقول:

ابن العم العزيز جرجي حرسه الله

أصافحك بكل شوق وأتمنى لك والى الأسرة الكريمة خير التمنّيات ورغد العيش، إن انقطاع كتبي عنك كان ناتجاً عن مرض عضال ألمّ بي منذ سنة ونصف ونيّف ألا وهو ذبحة في الصدر وضيق تنفّس، وقد تحمّلت اوجاعاً مؤلمة ممّا أزال في الفراش باشعار من الطبيب، الاّ ان افكاري كانت عندك وذكرك العطر ملء خاطري، اضمك الى صدري ولو عن بُعد معانقاً اياك حفظك الله طويلاً.

خليل

وهذه رابعة من رسائله يتألم فيها لعادات البشر واخلاقهم الذين يطربون لوداع عام مضى واستقبال عام أتى وهم يجهلون انه عام مضى من حياتهم فيقول:

عزيزي جرجي

بينا نحن باجتماع عائلي مع بعض الأقارب والأصدقاء منتظرين قدوم العام الجديد، اذا بعقرب الساعة يدق الثانية عشرة، مبشراً ببزوغ العام الجديد، فوقف القوم بعد أن اجتاحتهم نشوة الطرب، شربوا الكؤوس حتى الثمالة، يدقّون الكأس بالكأس ويشربون الأنخاب، وهم في هزج وطرب،

يودّعون عاماً مضى ويستقبلون عاماً أتى ؛ وقفتُ مع مَن وقف ؛ وفي العين دمعة وفي القلب حسرة ؛ وشربتُ ما حوته تلك الكأس .

وتركتُ الناس وشأنهم ، وانزويتُ في غرفتي أتأمّل عادات البشر الذين يطربون لعام مضى من حياتهم ، الذي يبعدهم عن المهد ويقرّبهم من اللحد ، فهم كالترود يلحسون المبرد ويتغذّون من دمائهم ؛ لكن هذه سنّة البشر .

معايدتي اليك جاءت متأخرة ولكنها كالخمرة المعتّقة كلما طال عهدها لذّ طعمها ، وفقّك الله ابداً معافى .

خليل

وهذه خامسة من رسائله تاريخ ١٠ آذار سنة ١٩٥٤ يختنق فيها قلبه بحبّ الوطن وبالحنين الى لبنان ، مهد أحلامه ومسرح صباه فيقول :

جواباً عن رسالتكم المضمّخة بعبير لبنان وأرزه الخالد ، لقد ذكّرتني يا عزيزي جورج بلبنان وطني المحبوب ، فهو لوحة من جنان الخلد ، وحلية من حُلى الطبيعة ، فحنيني اليه حنين الساجعات الى وكناتها ، وحنين الفطيم الى لبان المرضعات ، بل شوقي الى هوائه ومائه كشوق الظامئ الى نمير الماء أو العليل الى البُرء والشفاء .

طافت في مخيّلتي ذكريات دفينة عابقة بأريج عطر الوزّال والشيح والشربين والصنوبر ، فأخذتني نشوة ما لبثت ان اضمحلّت كالضباب الذي تبدّده الرياح وتذريه العواصف ، وقد كشفت لي عن أسرار الحياة ، ومعاني الوجود ، وقسوة الدهر وغدره .

لبنان درّة المشرقين ، وتاج مرصّع باللآلى ، وغرّة على جبين الزمن ، نثر جماله على الكون فتألّق نوره وضياؤه . من أرضه تفجّرت الحكمة والمعرفة ، ومن حسنه استوحى الشعراء والمفكّرون لوحات روائعهم وبدائعهم ، وبأرضه انتصبت هياكل بعلبك فكانت احدى معجزات الفن ، ومن خشب أرزه بنى سليمان الحكيم هيكله العظيم ، وعلى شواطئه بنى الفينيقيّون السفن التي مخرت عباب اليمّ وانطلقت حاملة السلع والنسيج الى أقاصي الأرض بعد أن خبروا فنون الملاحة واكتشفوا نجمة القطب ، فاهتدوا بها في أسفارهم ، وقد بنوا المدن وأقاموا فيها ملوكاً ، وسنّوا الشرائع والأحكام فكانوا روّاداً وأبطالاً مغامرين .

ومن أرضه خرجت الأبجدية التي هذّبت العالم. وصقلت العقول. وقادت الشعوب الى طريق النور والحياة. فنشر ابناؤها معالمها قصياً، وحملوا مشاعلها الى اطراف المعمور، فكتبوا أروع صفحة في التاريخ.

ومنه خرج الأنبياء والرسل والمبشرون الذين تغنّوا بحسنه، وترنّموا بذكره. وأشادوا بوصفه فخلّدوه. وأبطال صمدوا عبر التاريخ في وجه الشدائد والملمّات فردّوا الغزاة الفاتحين على أعقابهم خاسرين وعلى أرضه غنّت الشعراء أطيبَ الألحان وأعذبَ الأناشيد: فأفاضت في تعداد محاسنه وجمال مفاتنه.

هذه ذكريات عذبة جالت في خاطري: فتجسّمت عندي الحياة: وهزّني الفخر وتالني المجد: وتضاءلت أمام عينيَّ أمجاد العالم وأباطيله: واضمحلّت من نفسي الأوهام كما يضمحلّ الضباب عند تباشير الصباح.

هذا هو لبنان يا عزيزي موطن السحر والجمال: وموطنُ أوكار النسور، فعلى هامه ضفّروا تيجان الملوك وأكاليل الغار.

نحن في هذه الديار المكسيكية نتباهى ونعتزّ بما لنا من ماض مشرق بالحضارة والاختراع والاكتشاف: ذكريات تقضّ مضجعي: وتلهبُ نفسي فتحملني على أجنحة النسيم الى ذلك الفردوس المليء بالمفاتن والمغامرات: المعطّر بأنفاس الآلهة وأرواح النسّاك.

حين أذكر لبنان يشعر جسدي بالراحة وتحسّ نفسي بالرحمة، فياليت أحلامي تتحقّق فأعود اليه ولو رمساً: بعد أن آذنت حياتي بالمغيب.

لبنان وطن الأرز والخلود، ومرتع الأبطال والآساد، ومهبط الوحي والالهام، ومنبع الحريّة والسلام، ومصدر الشهامة والشرف، ورمز الإلفة والمحبة: هذا هو لبنان.

خليل

مكانته الادبية: وكان الفقيد يتمتّع بين أفراد الجالية اللبنانية في مكسيك بمكانة ادبية مرموقة. وكان مواطنوه على اختلاف نزعاتهم يقدرونه قدره وينوهّون بفضله كما يتضح من بعض ما قاله فيه صفوة من الأدباء:-

قال الأديب الكبير والشاعر العبقري المرحوم الاستاذ بولس غانم:-

فُجعت الصحافة اللبنانية في المهجر بفقد ركن من اركانها جاهد في سبيلها وفي سبيل الدعوة للبنان سنين طوالاً . لم يجتزئ فيها بعصارة قلمه ووحي خاطره ، بل أنفق في سبيل ذلك ما تملكه يداه ذلك هو الأديب الكبير الاستاذ خليل يوسف نصر .

نشأ خليل ذكياً في أحضان والديه اللذين بذلا في سبيل تعليمه جُلّ ما تملكه يداهما ، فكان عند حسن ظنّهما به ، متفوّقاً على أقرانه في سني دراسته وكانت حرقة الأدب قد ملكت عليه مشاعر نفسه وكان يصبو الى إنشاء صحيفة يستودعها وحيّ مشاعره : وعصارة قلمه ، وصادق وطنيته : ولمّا عجز عن تحقيق أمنيته في لبنان ، هاجر الى ما وراء البحار واستقرّ في مكسيك مهاجراً يلتمس الثراء والكسب كغيره من اللبنانيين ، فاحترف التجارة صادقاً مخلصاً في معاملاته ، غير لاه عن أداء رسالته الأدبية ، وأبت عليه نفسه الحرة إلاّ ان ينشئ صحيفة عربية في بلد صدق فيه قول المتنبيّ :

ولكنّ الفتى العربيّ فيهـا غريب الوجه واليد واللسان

فأنشأ فيها جريدة « الفرائد » ثم مجلة « لبنان » اللتين تولّتا الدفاع عن حقوق أبناء وطنه في المهجر ورفع الاسم اللبناني ونشر اللغة العربية بين المواطنين المهاجرين وذاق فيها ما ذاق من غدر القدر وحرقة القلم وانصراف ابناء المهجر عن العناية بأمور لغتهم وثقافتهم ولكنه مع ذلك ظلّ مثابراً مجاهداً بعزيمة صادقة لا تني ونفس أبيّة وقلم سيّال ، وصراحة في الحقّ ، فكانت له في صحيفتيه المقالات الشائقة التي تدلّ على تضلّعه من الأدب وإلمامه بشتّى أساليب الصحافة الى ان توفاه الله كالجندي في حومة الوغى وقلمه بيده وثقته بنفسه وبوطنه ، فذهب مأسوفاً عليه مبكياً على أدبه الجمّ ، وقضى والحنين في قلبه الى وطنه الأول لبنان وأمنيته بعد موته قول القائل :

يا بني أمّي اذا حضرت ساعتي والطبّ ابليتي
فاجعلوا في الأرز مقبرتي وخذوا من ثلجه كفني

وقال الدكتور وليم نعمه وكان صديق الفقيد الحميم :

كان المرحوم الاستاذ خليل نصر كاتباً أديباً وشاعراً رقيقاً ووطنياً صادقاً كريم الاخلاق طيّب السريرة .

ولد في بكاسين من والدين كريمين وتلقى دروسه الأولية في مدرسة قريته وأكملها في مدرسة قرنة شهوان.

ثم عهد إليه بتدريس اللغتين العربية والفرنسية في كفرحونة (جزين) وظلّ يؤدي رسالته الثقافية الى سنة ١٩١٢ وفي هذه السنة هجر وطنه الى الديار المكسيكية وأخذ يجاهد في حقل التجارة. فأصاب نجاحاً وتوفيقاً. وكان بين الفينة والفينة يراسل الجرائد وينشر المقالات الأدبية، وقد غلبت عليه النزعة الأدبية فترك التجارة وأنشأ جريدة «الفرائد» العربية التي أدّت لابناء الجالية اللبنانية أجلّ الخدمات، وساعدت على احتفاظ المهاجرين وأبنائهم بلغة آبائهم: كما كانت خير موجّه للسياسة اللبنانية والقومية العربية. ثم أنشأ مجلةً باللغة الاسبانية دعاها «لبنان» اشترك في تحريرها الجيل اللبناني الناشئ في مكسيك.

ومن أبقى آثاره كتاب باللغة الاسبانية نشره سنة ١٩٤٨ أسماه «الدليل اللبناني» بالاشتراك مع الاستاذ سليم عبّود يقع في أكثر من سمّاية صفحة ألمّ فيه بتاريخ هجرة اللبنانيين وآثارهم في نهضة الشعوب للبلاد التي هاجروا اليها، وقد كان لهذا السفر الثمين وقع عظيم لدى المقامات الأدبية والسياسية في بلاد المهجر.

وفيما هو يجاهد في سبيل أمّته وبلاده لرفع الاسم اللبناني وكلّه آمال للعودة الى وطنه يوماً قضى بعيداً وقلمه بيده مأسوفاً على علمه وأدبه وجياده وصادق وطنيته.

وقال صديقه الشيخ ناصيف النفضل:

كان (الخليل) رحمه الله اديباً شاعراً وصحفياً واسع الأفق، تخرّج من مدرسة قرنة شهوان وأقبل على تعليم النشء في مستهل حياته الأدبية، ثم هجر وطنه سعياً وراء الرزق فاحترف التجارة في أول امره ولم يلبث أن فطن الى انّ رجال الأدب يتبادلون ذات النفس لا ذات اليد، فانصرف الى الصحافة العربية وأنشأ في المهجر جريدتي (الفرائد ولبنان) عالج فيها الأدب والتاريخ والمواضيع الوطنية التي بها حثّ مواطنيه على العودة الى ديارهم والتمسك بحبّ ذلك الجبل الأشمّ الذي أنبتهم نباتاً طيباً. ولم ينس أن يرجّع الحنين الى ذلك الوطن بشعر رائع نبيل، جاء صورة صادقة لما في نفسه، وأبتْ عليه الأقدار إلاّ ان يموت غريباً مشوّقاً الى وطنه الأول

وسقط رأسه بكاسبين التي لا تزال تعتزّ بأمثاله من الأبناء البررة رحمه الله رحمةً واسعة .

وكتب مواطنه المرحوم الاستاذ سليم عواد سنة ١٩٤٧ الكلمة التالية عنه :

الاستاذ خليل نصر عصاميّ لأبيه وجده ؛ أحبّ العلم صغيراً وبدت عليه بين أترابه في مدرسة القرية دلائل النبوغ والذكاء فعمل أبوه بقول المسيح بع متتاعك فباعه لا ليتبع المسيح بل ليربّي الخليل التربية الصالحة الحسنة : ولم يخيّب الخليل الآمال المعقودة عليه بل تفوّق على أقرانه في المدارس التي تخرّج فيها : وخرج منها متفنناً أديباً لا يملك إلاّ شقّ قلمه ، ولم يجد في لبنان مجالا لكسب قوته من ذلك القلم السيّال وذلك الدماغ المفكّر : فهجر لبنان تحمله الغصّة لفراق ذويه : ويحدوه الأمل بالمستقبل الزاهر في بلاد تعرف للاديب مقامه ، وتحفظ لمفكّريها اقدارهم : فتحقق الخليل في مهجره أمل ذويه وخلانه وأترابه وأنشأ « الفرائد » بين الجرائد يغذّيها بلبّه . وينفق عليها من دمه ؛ ولكن والد الخليل رحمه الله لم يعش ليروي ظمأه من إنتاج ولده إن فاته ان يتمّع الطرف الجميـــل بطلعته ، ولكنّ أحدان الخليل عاشوا هم يعتزّوا بخليلهم ؛ ويجتمعوا اليه بأرواحهم ، وعسى أن يكافئ الله الخليل على جدّه ونشاطه وسهره وتحصيله ، وأن يردّه يوماً الى بلده الذي يفاخر به ، ليجتلي أصدقاؤه الذين مدّ الله في أعمارهم ، ذلك المحيّا الوسيم ، ويتمتع طويلاً بأدبه وعلمه انشاء الله .

نماذج من شعره : وكان رحمه الله قد أتحفني ببضع قصائد — وقد أتينا على ذكرها — زاخرة بالعاطفة والألم والوفاء والوطنية ننشرها عبرةً وذكرى : لنخلّد بها بعض آثاره ونجنّبها الضياع .

قال يهنئ السفير اللبناني في مكسيك الشيخ خليل تقي الدين في مطلع سنة ١٩٥٤ :

يا وزير القلوب قوّم نفوساً	صوّحتها عواصف الأديـــان
علّم الناس أنّ ربّ البرايـــا	مصدر الحبّ والنهى والحنان
أرسل الأنبياء هدياً لقـــوم	قــد أضاعوا وديعــة الايمان
ذاك أعطى الغواة انجيل صدق	ثم لاحت بشارة القرآن
فانتشى الكون بالمروآت تسري	بانتظام وراحـــة وأمـــان

يا (خليل) القلوب أرهف يراعاً قد سرى الجهل في بني الأوطان
قل لقوم على الضغينة ناموا ان يفيقوا، فكلهم لبناني

وقال في وداع سيدة كريمة زارت لبنان بعد غياب طويل وقد كانت معجبة بجمال وطنها ومغانيه :

يا ابنة المجد والجمال النبيله أيّ شيء سواك اجدى «وسيله»
انت في الدار بسمة في شفاه انت في الروض زهرة للفضيله
يوم طار النباط فيك عرفنا لوعة البعد في نفوس عليله
قد وقاك الرحمان من كلّ شرّ وحباك الحياة دوماً طويلـه
لا تُطيلي الفراق عنّا وقولي يا ليالي الفراق كوني قليلـه

ونراه يثور غاضباً عاتباً لانقطاع الوفاء وتبدّل الاصدقاء فيودع غضبه وعتبه ابياتاً من الشعر ينبع منها الحزن ويفيض الألم : فيقول في قصيدة عنوانها اين الوفاء ؟

اين الوفاء لقـد ثوى كالزّهر في حرٍّ ذوى
بالأمس في عهد الصبا كنّا يطيب لنا الهوى
فتبـدّلت أيامنـا والحزن قد شلّ القوى
أيام حزن قـد مضت لم يروهـا راوٍ روى
فالقلب مزّقه الأسى والحبّ غُيّب وانطوى
والغصن بعد غضارة قـد جفّ ماءً والتوى
نزّت جراحي بالأسى وجزعتُ من فرط النوى

ويسترسل الشاعر في تشاؤمه ويعالي يبثّ شكواه وألمه فيقول في قصيدة أخرى تحت عنوان « اين الصداقة ؟ وما أصدق قوله :

لهفي على تلك الصداقة قد ذوتْ ومحى الزمان رسومهـا وسماتها
وبدت تنوح وحيدة في مهجة حرّى يقطّع دمعُها نفثاتها
دكّت معالم حسنها وجمالها نثرت على رمس الوفا عبراتها
أسفي على عهد قديم غابر ولّت به الأيام في غدراتهـا
ذبُلت محاسنها وجفّ معينها وعفت مجالي الأنس في ربواتها
تلك الصداقة قد هوت من حالق يا ليتها ظلّت على دوحاتهـا

ثم نراه وقد هزّه الشوق الى الجبل الأشم : ومرّت بخاطره ذكريات طفولته وصباه ، واشتدت عليه كربة الغربة وطول الحنين الى الوطن ؛ فيقول معبّرًا عن عواطفه الوطنية وشعوره الصادق في قصيدة عنوانها (ذكرى الوطن) :

وطني وفيه الذكريات صبوحي ... وضياء بره للعليــل وروحي
قد جال في قلبي خيال بهائه ... بـين الربى ووهـاده وسفوح
والشوق يملأ في البعاد حشاشتي ... فتفيض آلامي جوىً وجروحي
كم بتّ والليل البهيم مسامري ... والذكريات عن الصبابة توحي
والعين تدمى ثم تذرف دمعها ... من جفن معتلّ الفؤاد جريح
وطن الخلود مكلل في تاجه ... للمجد يوم كريبـة وفتوح
أصبو لأيام الطفولة والصبـا ... وحنان أمّ بالرشاد نصوح
ومحبة تترى كبحرٍ زاخرٍ ... وبشاشة لاحت بوجـه صبيح
يا ربّ ارجعني لدار أحبّتي ... فأنام مرتاح الحشا بضريحي

وهذه أبياتٌ من قصيدة نظمها الشاعر في اثناء الحرب العالمية الأولى يتفجّع فيها على ما حلّ بوطنه العزيز ويتألم مما أصاب بلدته من ظلم بعض المواطنين الجشعين . وقد تمثلت في مرآة خاطره صور دامية عن هذه الحرب رسمها في بعض ابيات هذه القصيدة قال :

نزل البلاء بموطن الأجداد ... فـسرى الأسى في القلب والأكباد
خطب جليل عمّ آفاق الورى ... دكّ الجبال وشامخ الأطواد
وطني جُعلتُ له الفداء عدت به ... من دهره وبنيـه شرّ عـواد
لم يكفـه ظلم أطاح بأهله ... حتى أصيب بطغمـة الالحاد
هم شاركوا السفّاح في سفك الدما ... وتفنّنوا في الظلم والإفساد
وهمُ اجاعوا الأقربين فأصبحوا ... شرًا من الاعداء والاضداد

وله قصيدة يصفُ فيها مناظر لبنان الخلابة ومياهه المتدفقة ويستعيد بها ذكريات صباه ومآثر آبائه :

لبنان فيك ترعرعتْ أجدادي ... وعرينهم أضحى بذاك الوادي
تركوا المكارم والمآثر والعلى ... ومفـاخر الأعمال للاحفاد

حملوا الفضائل كالأزاهر عَرْفها فكأنها البسمات في الأعياد
لبنان يا وطن الأسود وموئلاً في وجه كلّ مكابر أو عادي
بسقت غصونك في الجنان جميلةً يا حسن أغصان على أعواد
أبناؤك الغرّ النوابغ قد غدوا في كلّ صقع كالشعاع الهادي
ومروجك الخضراء جنّات غدت سلمتْ مباهجها الى الآباد
يا ما أحيلى شمس صيفك إنّها يترَدَّدُ على الأرواح والأجساد
من ارضك انبثقت مصابيح الهدى وبفضلهم كلّ العصور تنادي
من كلّ هزّاز القناة وعالمٍ وكريم نفس في الورى وجواد
هيهات أن ينسوا البلاد وعهدها ومرابض الآباء والأجداد
إن يهجر الأوطان منهم نُزّحٌ فبذكرهم أضحى يشيدُ الشادي

لبنان سبحان الذي خلق الورى أضحى جمالُك مُنية المرتاد
تفنى الدهورُ وتنطوي آياتُها وبديع حسنك ملء كلّ فؤاد

لقد انطفأ نور هذا الشاعر بعيداً عن الوطن الذي أحبّه، وغاب عن العيون شعاعه وضياؤه، وفي قلبه حسرات، وعلى لسانه عظات، فذهب مأسوفاً على أدبه، مبكيًّا على شبابه.

بكاسين — لبنان

جرجي ابرهيم نصر